وإذا كان الممدوح من ذوي الصناعات لزم مراعاة أن يُمْدَح الوزير والكاتب – مثلا – بما يليق بالفكرة والرويَّة وحسن التنفيذ والسياسة ، فإن انضاف إلى ذلك الوصف بالسُّرعة في إصابة الحزم والاستغناء بحضور الذهن عن الإبطاء لطلب الإصابة – كان أحسن وأكمل للمدح ، كما قال الشاعر :

بَديهَتُهُ وَفِكْرَتُهُ سَواءٌ إذا بَعُدَ الصَّوابُ مِنَ المُشيرِ

أما مدح القائد فبم يُجانِس البأس والشدة والنَّجدة ، وشدة البطش والبسالة ، فإن أُضيف إلى ذلك المدح بالجحود والسماحة ، والتخرق في البذل والعطيَّة كان حسنًا ، وذلك كما قال بعضُ الشعراء في جمع البأس والجود :

فَتًى دَهْرُهُ شَطْرانِ فيما يَنوبُهُ فَفي بَأسِهِ شَطْرٌ وَفي جودِهِ شَطْرُ
فَلا مِنْ بُغاةِ الخَيْرِ في عَيْنِهِ قَذًى وَلا مِنْ زَئيرِ الحَرْبِ في أُذْنِهِ وَقْرُ

ومدح السوقة من البادية والحاضرة ينقسم قسمين بحسب انقسامهم إلى المتعيِّشين بأصناف الحرف وضروب المكاسب ، وإلى الصعاليك والخراب المتلصِّصة ومن جرى مجراهم . فمدح القسم الأول يكون بما يضاهي الفضائل النفسية ، مع خلوه من مثل مدح الملوك والوزراء والكتّاب والقوّاد، مثل قول الشاعر :

مُتَراحِمينَ ذَوو يَسارِهِم يَتَعاطَفونَ عَلى ذَوي الفَقْرِ
وَذَوو مَعاسِرِهِم كَأَنَّهُم مِنْ صِدْقِ عِفَّتِهِمْ ذوو وَفْرِ
مُتَجَمِّلينَ لِطيبِ خَيْمِهِم لا يهلَعونَ لِنَبْوَةِ الدَّهْرِ